

## التداعيات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للحروب القائمة في الأراضي الإسلامية وتبعاتها

المهندسة مها لطف جمول

أينما حلّت الحروب فإنها تترك ندوباً عميقة في المجتمع وتستمر تبعاتها لفترات طويلة، وهي في الغالب لا تنتهي مع انتهاء الحرب. وبلحاظ هذه الآثار فإن بعضها يصيب الدولة بالانهيار وبعضها يُصيب الأسر والأفراد مباشرة بمختلف التداعيات السلبية على المستوى الاجتماعي والصحي والتعليمي والنفسي.

في هذا المقال سوف يتم البحث في مختلف التأثيرات السلبية، وهو لهذا سوف يناقش الصعوبات التي تواجه الشباب الذين تعرضوا للعنف بأشكاله وأنواعه المتعددة، كما سيناقش تأثيرات أخرى على مستوى المجتمع مثل: التسرب المدرسي ونقص الامدادات والتجهيزات الطبية في ظل انتشار الاوبئة وتكاثرها لاسيما منها الكورونا. ومثل مناقشة ظروف النساء في مجتمعات الحرب حيث تضطرن ظروف فقدان المعيل إلى تحمل مسؤوليات جسيمة وربما تدفعهن إلى الزواج وهن قاصرات.

سوف يطل المقال كذلك بشكل عام على حالات تراجع الأوضاع الاقتصادية لاسيما منها تأثير البطالة على مستويات المعيشة وقدرة الأفراد على العيش اللائق في ظروف عمرانية وبيئية مناسبة.

لن يكتفي المقال بإعطاء التوصيفات العامة حول تأثير الحروب بشكل عام، بل ربما سيتطرق إلى إعطاء أمثلة حية ومباشرة من حروب العالم الإسلامي الحديث في لبنان وسوريا والعراق واليمن وتأثيراتها، وذلك بهدف أن يتوصل إلى استخلاص مجموعة من التوصيات التي يمكن العمل عليها في فترة الحروب والتي يجب أن يكون لها هدفان: الأول تقليص

الحالات الحرجة من خلال أعمال الإغاثة المباشرة، والثاني الحد المباشر من التداييعات المستقبلية التي لن يكون بالإمكان ترميمها فيما لو تركت دون تدخل.

### مقدمة: أسباب اختيار الموضوع:

منذ الخمسينيات من القرن الماضي، - تاريخ استقلال معظم الدول العربية - وهذه الدول لم تعرف الاستقرار الأمني أو السياسي أو ربما لم تعرف أمنها الاقتصادي الذاتي والرفاه والاقتدار المرجو لها، فمن حرب إلى أخرى، إلى احتلال، إلى اقتطاع أراضي، إلى تقسيم إلى انقلابات، إلى اجتياحات بالجملة، وصولاً إلى ما سُمي بالربيع العربي... تسميات كثيرة أثرت بطريقة مباشرة وغير مباشرة على الفرد والأسرة والمجتمع، بل وأثرت في مستقبل المنطقة بأكملها. فهل سيكون بالإمكان تخطي كل هذه التحديات والمعاناة للخروج لإعادة الإعمار بصورة سهلة وسلسلة؟

وبالرغم وجود العديد من الأبحاث والدراسات التي تناولت آثار الحروب وما بعد انتهائها من مختلف الجوانب، إلا أن هذا البحث سوف يُقدم إضافات على الموضوع من خلال مقارنته للأسباب التالية:

### السبب الأول:

في أدبيات إعداد الاستراتيجيات حول موضوع مفصليّ معين، تتم دراسة أربعة محاور أساسية ذات صلة هي: نقاط القوة ونقاط الضعف وهي مجالات بطابع وتأثير داخلي، كذلك تتم دراسة الفرص والتهديدات وهي مجالات بطابع وتأثير خارجي، وقد وجدت من المناسب في ورقتي البحثية هذه، أن الحرب باعتبارها واحدة من التهديدات المستمرة الداخلية والخارجية في آن، والتي تؤثر في المجتمع واستقراره، تستحق بذل الجهود البحثية حولها على الدوام.

### السبب الثاني:

هو أن ربط وصول المجتمع إلى مبتغاه التكامل للوصول إلى الله تعالى مرتبط بالأمن والهدوء والاستقرار بحيث أشار القرآن الكريم في قوله تعالى إلى هذا المعنى من خلال الآية الكريمة

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَأَمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾<sup>١</sup>. لذا فإن هذا البحث سوف يساهم في تقديم مقترحات يمكن من خلالها تقليص الآثار السلبية المتعلقة بالحروب من جهة، والتقدم باتجاه مجتمعات مقتدرة وقادرة على مواجهة تحدياتها في المستقبل من جهة أخرى..

### السبب الثالث:

هو التمهيد لمقدمات وشروط عمليات إعادة الإعمار في البلدان التي تعرّضت للحروب وذلك لوجود دلائل كثيرة ومؤشرات جليّة حول قرب انتهائها وفشل كل المشروع الاستعماري الأميركي - الصهيوني في المنطقة.

### لكن ما هي الحرب وما هي أبرز تداعياتها:

الحرب كما يُصطلح عليها هي صراع يتضمن استخداماً منظماً للأسلحة و/أو القوة البدنيّة و/أو الماديّة، من قبل الدول أو مجموعات معادية (تقودها منظمات أو شخصيات)، الهدف منها هو احتلال الأراضي - مباشرة أو غير مباشرة - للسيطرة على مواردها الطبيعيّة وإخضاع أهلها إلى إيديولوجيات المحتل (سواء كانت هذه الإيديولوجيات دينيّة، سياسية، اقتصادية، ثقافية، اجتماعية أو غيرها..)، وهي تتضمن أيضاً معاني يمكن حملها فيها على "السلب"<sup>٢</sup>، وهي نقيض السلم.

### أولاً: أبرز التغييرات الحاصلة على مستوى الأفراد والمجتمع:

عند الحديث عن الحرب يمكن الإشارة إلى فئتين من التداعيات التي يمكن أن تحصل، الفئة الأولى تتمثل بالتأثيرات أو التداعيات التي يمكن أن تحصل على الأفراد والأسر، والفئة الثانية تتمثل بالانعكاسات التي تحصل على المجتمع ككل.

١. سورة فريش الآية ٣ و٤

٢. والسلب يتضمن معاني عديدة منها: سلب الحياة، الحريات، الأمن الشخصي والعام والغذائي، وسلب إمكانات الاقتدار والنمو الاقتصادي، وسلب قدرة الأفراد على الوصول إلى الاحتياجات الأساسية من تعليم وصحة ومياه آمنة وبنية تحتية وطرق ومواصلات...

### التغيرات على مستوى الأفراد:

يمكن تعيين مجموعة من المحددات/ المؤشرات الرئيسية ذات الطابع الاجتماعي والتي تُظهر التغيرات التي طرأت على المجتمع في البلدان الإسلامية التي عانت جراء الحروب، ومن أبرزها: التغيير في تركيبة المجتمع وتبرز من خلال زيادة أعداد الوفيات، فعند تعداد أرقام الوفيات والشهداء والجرحى الناجمة عن الحرب في أي بلد تبدو الأرقام مهولة ومخيفة نسبة إلى عدد السكان الإجمالي، بحيث أن ملايين من أفراد الشعب السوري مثلاً قد قُتل في الحرب ضده منذ العام ٢٠١١، ومثلهم من الشعب اللبناني الذي قُتل في الحرب الأهلية بين أعوام ١٩٧٥ - ١٩٩٢. ويمكن النظر إلى النسب المرتفعة لأعداد الوفيات من خلال الأثر - الخلل - الذي يتم إحداثه في تركيبة الهرم السكاني، إذ يظهر الانكماش الواضح في نسب الأفراد - الذكور منهم خاصة - في الفئات العمرية ٢٥ - ٤٥ سنة، ويؤدي هذا الأمر إلى زيادة نسبة النساء عن المتوسطات العامة، كذلك تزيد نسبة المسنين في الهرم السكاني، ما يؤدي إلى ارتفاع معدلات الإعالة<sup>١</sup> تلقائياً بالنسبة للفرد العامل وهو ما يُفضي إلى أزمات كبيرة في أوقات الحروب<sup>٢</sup>. ويُسفر الترميل عن تغير في الأدوار الاجتماعية للنساء في الأسرة والمجتمع فضلاً عن تغير بُنية هذا المجتمع، فيما تعاني النساء اللاتي اختفى أزواجهن أو أصبحوا في عداد المفقودين من مشكلات إضافية ناجمة عن الآثار النفسية المرتبطة بعدم الشعور بالأمان. كذلك يبرز التغيير في تركيبة المجتمع من خلال تراجع عدد أفراد الأسرة<sup>٣</sup>، بحيث يظهر أنّ التراجع في نسبة الولادات أثناء الحرب لا تبقى طارئة وآنية، بل تستمر في تراجعها إلى ما بعد انتهاء الحرب المباشرة بسنوات طويلة أي حتى الوقت الحالي، كنمط سلوكي وثقافي.

١. معدّل الإعالة: هو مؤشر يُظهر العبء الذي يتحمله السكان الناشطون اقتصادياً والذين يعملون تحديداً، مقسوماً على إجمالي عدد السكان.

٢. يمكن استقراء تدهور الحالة الاقتصادية للفلسطينيين بعد الانتفاضات المتعددة، إذ تم إحصاء نحو ٤٠ ألف جريح منهم ٥ آلاف أصيبوا بالعجز المطلق منذ أيلول ٢٠٠٠، وهو ما يجعل الإعالة عبئاً كبيراً على المعيل خاصة مع نسب البطالة المرتفعة.

٣. أظهرت دراسة الأحوال المعيشية في لبنان عام ٢٠١٥ أن متوسط أفراد الأسرة هو ٤ أفراد، في الوقت الذي كان متوسط الأسرة عام ٢٠٠٤ يصل إلى ٤.٢٧ فرد/ أسرة، بينما كان عام ١٩٨٢ نحو ٥.٢٥ فرد/ أسرة.

**انتشار الأمية:** تشير الإحصاءات إلى أن نحو ٢٥٪ من أطفال العراق حُرِّموا من التعليم بسبب الحصار وبسبب تدمير مدارسهم أو بسبب اضطرابهم للنزوح إلى أماكن أكثر أمناً، لكن لا تتوفر فيها مقاعد دراسية كافية. كذلك تشير الإحصاءات إلى أن نحو ٧٤٪ من أطفال النازحين السوريين على الأقل الموجودين في لبنان قد بقوا خارج المدرسة، ويعود هذا جزئياً إلى عدم قدرة المدارس الرسمية على استقبال أكثرية النازحين الذين هم في سن الدراسة بالإضافة إلى تحديات أخرى موجودة مثل توفير كلفة النقل ولغة التدريس. كذلك الأمر في ليبيا إذ يبدو أن أطفال أكثر من نصف اللاجئين داخلياً لا يذهبون إلى المدرسة للأسباب السابقة نفسها. ويُقدَّر أن ٤٧٪ من الأطفال في اليمن في سن الدراسة باتوا غير قادرين على تلقي التعليم. إنَّ من شأن انتشار الأمية بين الأفراد أن تحدَّ من قدرة المجتمع على إعادة تطوير ذاته بعد الحرب، ويمكن بالتالي أن يبقى هذا المجتمع أسير التخلف لفترات طويلة غير محددة.

**الهجرة والنزوح:** يُقدَّر أن ثلث الشعب السوري<sup>١</sup> ومثله من الشعب العراقي قد بات مهجراً في بلاد الله الواسعة بفعل الحروب. ويُلاحظ التأثير السلبي للهجرة من نواح عدة، إذ تطال هجرة الأدمغة الشابة الواعدة وهجرة الأموال والاستثمارات التي يمكن أن تساهم في تخفيف وطأة الحرب على المقيمين. ويُعدُّ التهجير من أكبر صدمات الحرب، من حيث الشعور بالافتقار وفقدان المجال الحيوي المطمئن والمألوف، كونه يؤدي إلى السقوط في عالم يفتقر لمقومات الحياة الطبيعية، حيث السكن غير المستقر داخل بيوت مؤقتة أو خيم لا تتوفر فيها أدنى مقومات العيش الكريم.

ولا تقتصر مضاعفات الهجرة على السكن في بيئات غير صحية أو آمنة بل يمكن أن تصل فيها حالات الإحباط إلى حد اتخاذ خطوات يائسة لجهة قرار الأفراد أو الأسر بالهجرة غير الشرعية عبر البحر. وقد شهد العام ٢٠١٥ وحده أن أكثر من ٢,٠٠٠ مهاجر غرقوا في البحر المتوسط، غالبيتهم كانوا في سعي حثيث باتجاه العبور إلى شواطئ أوروبا الجنوبية.

١. يُقدَّر أنه نزح من سوريا عام ٢٠١٥ نحو ١١.٦ مليون أي نحو ٥٣٪ من السكان، كذلك يقدر أعداد النازحين من السودان بحوالي ٢.٤ مليون نسمة، ومن العراق بحوالي ٢.١ مليون نسمة ومن الصومال بنحو ١.١ مليون نسمة.

**الأوضاع الاقتصادية للأسر:** تؤثر الحروب سلباً على الأوضاع الاقتصادية للأسر وهي تأثيرات واضحة للعيان ولا تحتاج إلى كثير مؤشرات ومن أهمها الفقر بحيث تُقدّر نسبة الأسر تحت خط الفقر الأدنى<sup>١</sup> بحوالي ٣٣٪ من الأسر في قطاع غزة<sup>٢</sup> و ٢٨٪ من الأسر في العراق، ونحو ٤٢٪ في سوريا وهي أرقام تستدعي سياسات عامة جديّة بهذا الخصوص. كذلك وصلت نسبة الفقر في اليمن إلى ٥٤,٥٪ حيث تسببت الحرب بالكثير من المعاناة الإضافية بسبب سوء التغذية ونقص مستلزمات النظافة الصحيّة.

كذلك يمكن تتبع الأوضاع الاقتصادية للأسر في مواجهة الحروب من خلال عدم القدرة في الحصول على الغذاء الكافي، إذ يُقدّر أنه في ليبيا يوجد نحو ١,٢ مليون شخص يواجهون مشكلة في الحصول على الغذاء بسبب الحرب، فضلاً عن أن نحو ٨٢٪ من سكان اليمن (٢١,٢ مليون نسمة) تلزمهم مساعدات إنسانية في مجال الغذاء تحديداً.

**زيادة الأمراض والأوبئة:** تزيد الأمراض في الحروب ليس فقط بسبب نقص الأدوية أو بسبب عدم القدرة على شرائها، بل أيضاً بسبب غياب القدرة على الوصول إلى مياه آمنة وصرف صحي سليم وتخلّص فعّال من النفايات، حيث يُلاحظ أن مستوى هذه الخدمات هو الأسوأ خلال فترات الحروب لغياب أعمال الرقابة والصيانة. كذلك لا يُخفى الأثر السلبي لتدمير المستشفيات ودور الرعاية الصحيّة ودور العناية بالأفراد ذوي الاحتياجات الخاصة وكبار السن. ولا تقتصر آثار الحروب على تعداد الوفيات والشهداء والجرحى فقط وإن كان هذا الأمر بالغ الأهميّة، بل يتعداه إلى الأثر الذي تركه على عائلات المفقودين والأفراد الذين يعانون لفترات طويلة الأمد من أعراض نفسيّة و/ أو جسديّة. وقد تبين أن العديد من المستشفيات قد أغلقت في اليمن عام ٢٠١٥، مما ترك نحو ١٥,٢ مليون نسمة من دون إمكانيّة الحصول على رعاية صحيّة أساسيّة.

١. خط الفقر هو المستوى الأدنى من الدخل الذي يحتاج إليه الفرد أو الأسرة من أجل تلبية احتياجاتهم الأساسية الغذائيّة وغير الغذائيّة التي تضمن لهم أدنى متطلبات الحياة، ويُقدّر بحسب تقارير الأمم المتحدة للتنمية أن الفرد يحتاج يومياً إلى \$١.٢٥ لسد احتياجاته الأساسية، لكن في العادة تدأب الحكومات على تحديد خط فقر أدنى خاص بحسب مستوى المعيشة لديها، وهو على سبيل المثال في لبنان يصل إلى \$٤.٠٧ / فرد يومياً.

٢. في غزة وحدها يُقدّر أن ٧٠٪ من الأفراد يعيشون بأقل من دولار واحد يومياً بسبب انعدام الأمن الغذائي للناس.

### التغيرات على مستوى المجتمع ككل:

في زمن الحروب لا يمكن التغيرات والآثار السلبية التي تقع على عاتق الأفراد أو الأسر وحسب بل ينبغي ملاحظة تلك الواقعة المجتمع أيضاً، حيث التمييز على أساس طائفي أو عرقي أو مناطقي يغدو على أشده. فقد أدى تدفق الآف العمال السوريين إلى لبنان والأردن مثلاً إلى ضغط هبوط على الأجور في القطاعات غير الرسمية، وتم تحميل النازحين بصورة غير مباشرة مسؤولية انهيار القطاعات الخدمائية في دول لم تكن تقوم بكافة واجباتها تجاه شعبها ومواطنيها أصلاً. وقد تم رصد نشاط بعض الجمعيات التي نشطت في بعض أشكال التوزيع شبه القسري لفتيات صغيرات وذلك بهدف التخلص من الأعباء الاقتصادية التي تواجه أسرهم المهاجرة الفقيرة دون أن يكون لدى الدول المعنية القدرة على حماية مواطنيها من الآثار السلبية تلك.

في الحروب يتم التغاضي عن مسائل الإضرار بالبيئة أو التغيير في البنية الثقافية للمجتمع ويتم كذلك عن التغاضي عن التعويض المباشر أو غير المباشر عن الأضرار التي وقعت بحق الأفراد ويكتفى بتكريس الواقع كما هو في حالته المستحدثة.

**الإضرار بالبيئة:** يؤدي القصف بالعموم إلى تسرب أنواع السموم المختلفة وقد شهدت غزة ولبنان استخدام بعضها من المتفجرات المحرم دولياً. كذلك أدى حرق الغابات وتدمير التربة والأراضي الزراعية وانتشار الألغام من قبل العدو الإسرائيلي إلى تراجع الإنتاج وبالتالي تقليص الناتج المحلي للبلد، وهو ما يقود إلى سوء التغذية أو المجاعات التي ظهرت - ولا تزال - في أحلك صورها في اليمن وسوريا والعراق<sup>١</sup>. كذلك يمكن ملاحظة أن كميات التلوث الناجمة عن الصرف الصحي المرمي في بحر غزة نتيجة الحصار المستمر عليها، قد أدى إلى تراجع كميات الأسماك الموجودة فيها وإلى تلوث الموجود منها بحيث بات معها الأمن الغذائي للمواطنين في أسوأ مراتبه وأعلاها تهديداً لحياة السكان.

١. تسببت الألغام العنقودية والأرضية التي نشرها المحتل الصهيوني في لبنان إلى تعطل مساحات واسعة جداً من الأراضي الزراعية التي استغرقت تنظيفها حوالي عشر سنوات أو أكثر، وقد بقي عدد من الغابات الحرجية الكثيفة لفترات طويلة إضافية خارج القدرة على الاستثمار.

**الإضرار بالقيم الأصيلة للناس:** لا شك أن الحروب تُساهم في ضرب البنية القيمية للأفراد والمجتمع على حد سواء، بحيث تتراجع أهمية الإنجاز، وينتشر الكذب، وتغيب المروءة والشهامة ونجدة الملهوف وينقطع المعروف - بسبب شح الموارد - وتنتشر الخيانة والعمالة<sup>١</sup>، ويؤدي تراجع قدرة الأسرة على التأثير الإيجابي في وظائفها التقليدية تجاه أفرادها (إشباع حاجات أبنائها المادية والمعنوية والنفسية والدينية على حد سواء) إلى زج الأطفال القاصرين في أعمال الحربية ويؤدي إلى انحراف الأفراد وتكوين العصابات أو جماعات العنف أو الشلل المنحرفة.

إضافة إلى ذلك تتسبب الحروب في انقطاع الأسرة مع إرثها الثقافي (مساجد، مكتبات، متاحف، علماء، مفكرين...) وتستبدلها بثقافات وإيديولوجيات أخرى من شأنها أن تكرس مفاهيم وقيم مختلفة عن مجتمعاتها الأصيلة أو تسلب منها قيم كان قائمة مثل التكامل والتضامن والتعاون والشهامة.

وبالعموم تساهم الحروب في تشكيل بيئة حاضنة لنمو وتطور أزمة صراع الأقليات والطوائف تؤدي إلى شرذمة بنية الدولة وتؤسس لأرضية جديدة لجمعيات طارئة على المجتمع الأصلي نفسه، تحل محل هذه الدولة وتمحور برامجها حول تغيير الايدولوجيا بغطاء إنساني وتدريبى وتطويرى أحياناً بهدف السيطرة على مقدرات الشعوب.

تأثير انعدام الملاحقة القانونية وما يستتبعها من انعدام للعدالة وتكريس مبادئ جديدة تعتمد على السلب والتسامح بخصوص الجرائم المرتكبة بحق الأفراد في النزاعات الطائفية أو المحلية أو العرقية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن المحاكم الدولية الخاصة التي أنشأها مجلس الأمن لمقاضاة المسؤولين عن الانتهاكات الخطيرة للقانون الدولي الإنساني المرتكبة في يوغوسلافيا السابقة أو تلك المتعلقة بجرائم الإبادة الجماعية في روندا بين أعوام ١٩٩٣ - ١٩٩٥، قد جرّمت كبار المشاركين في الحرب، لكنها في النهاية لم تؤدي إلى استرجاع حقوق

١. قُدّر عدد العملاء في لبنان إبان الاحتلال الإسرائيلي بنحو ٤٠٠٠ عميل / عميلة أي بمعدل عميل لكل ألف نسمة، كذلك لا يمكن إغفال الإشارة إلى وجود آلاف العملاء في فلسطين والعراق وسوريا الذين تسببوا في قتل القادة الفكرين والعلماء والقادة العسكريين وغيرهم.

الأفراد المتضررين أو التعويض عن الخسائر في الأرواح أو العذابات التي تعرضوا لها، بل أن التقسيم الذي حصل لاحقاً قد كرس كل نتائج الحروب.

كذلك وفي هذا المجال أيضاً يمكن الإشارة إلى أن انعدام العدالة والقانون قد سمح بنشوء وانتشار شركات الحماية الأمنية غير الخاضعة لأي نوع من أنواع المساءلة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر شركة بلاك ووتر في العراق التي ساهمت في تفويض أسس الدولة ثم تركت خلفها كما هائلاً من الفوضى التي لن يكون بالإمكان ترميمها بسهولة.

### ثانياً: نافذة الأمل لتجاوز تداعيات الحروب

مزق الاقتتال في سوريا والعراق وليبيا واليمن مجتمعات بأكملها كانت آمنة، وأنهت أعمال التطهير العرقي التي مارسها تنظيم داعش المجرم قروناً من التمازج الديني والثقافي والاجتماعي، وأجبرت ملايين الأفراد على ترك ديارهم قسراً. وأثرت المخاوف أينما حلّ النازحون من احتمالات الإخلال بالتوازن الطائفي والديموقراطي في بلدان - هي غير مستقرة في الأساس - تخشى أكثر ما تخشاه هو تغيير الهوية الاجتماعية والسياسية للمنطقة على نحو لا رجعة فيه.

من حيث المبدأ - يمكن الإشارة إلى أن بعض مراكز الأبحاث الغربية<sup>١</sup> قد حددت جملة من الركائز / الدعائم التي من المفترض أن تستند إليها عملية إعادة الإعمار وهي:

توفر الموارد الاقتصادية اللازمة لهذه العملية،

الطريقة التي انتهت أو ستنتهي بها الحرب،

وجود أو غياب عملية سياسية داخلياً أو إقليمياً،

متانة الهياكل الاقتصادية أو المؤسسية ذات الصلة التي كانت موجودة قبل الحرب

وقدرتها على التكيف مع المستجدات التي حصلت خلال الحرب.

وتضيف أنه في غياب هذه الشروط أو بعضها، سوف تعرقل عملية إعادة الإعمار وتعطى

فرصة للعوامل الخارجية للاستفادة من العملية والدفع بأجنداتهم.

ولهذه الأسباب ترى أن بلداً مثل "سوريا أو اليمن يفتقران إلى الموارد الطبيعية، ستكون

١. صراع بوسائل أخرى.. إعادة الإعمار بعد الحرب في الدول العربية، "مدونات"، مركز كارنيغي لدراسات الشرق

الأوسط، عمرو عدلي. مدونة الكترونية

عملية إعادة الإعمار فيها صعبة للغاية في ظل غياب عملية سياسية... خاصة وأن الأولوية المعطاة في الوقت الحالي<sup>١</sup> هي لبقاء النظام". "وأن احتمالاً لنشوب صراع لئن بين المتنافسين المحليين ورعاتهم الأجانب" هو أمر سوف يعيق حتماً عمليات إعادة الإعمار.

وتضيف هذه الدراسة بخصوص ليبيا "أنها لم تملك قبل الحرب قطاعاً خاصاً نشطاً وأنها كانت نموذجاً للدولة الريعية المعتمدة على النفط... لكن هذا لا يعد بانتعاش اقتصادي حقيقي في المستقبل، حيث من المرجح أن تستمر قيام الهيئات الحكومية في شراء الولاء أو السلم الاجتماعي من خلال إعطاء مرتبات للمليشيات وبالتالي إعاقة محاولات تشكيل الدولة أو الاندماج الوطني".

وتخلص الدراسة إلى أن "حتى الدول الغنية بالنفط مثل العراق وليبيا لن تتمكن من استغلال ثرواتها من أجل عملية إعادة الإعمار ما لم تعالج المشكلات المؤسسية الأساسية وتضمن وحدة ونزاهة الهيئات الوطنية المسؤولة عن إنتاج النفط وإدارة الإيرادات ومحاربة الفساد والتشردم الأمني والتخلص من اقتصاد الحرب".

كما سبق يتبين أن الدول الاستعمارية التي تسببت في الحروب في البلدان الإسلامية وأدت إلى ما أشرنا إليه من تداعيات سلبية على حياة الأفراد وفي تركيبة المجتمع، لا تزال تعتبر أن عمليات النهوض في بلد مثل سوريا تستوجب التحول في نظامه السياسي، وأنه لا عملية سياسية أكيدة داخلية أو خارجية بهذا الخصوص حتى الآن، وأنه من غير المؤكد أن موارد هذا البلد يمكنها أن تكفي عملية إعادة الإعمار، وذلك في تدخل سافرة لإرادة الشعوب في المنطقة.

لقد أوصلت الحروب البلدان التي مرت فيها إلى نقاط حرجة لم يكن من الممكن تخطيها حتى بعد مرور سنوات طويلة عليها، فلبنان - البلد الذي لا يملك أي من الموارد الطبيعية - والذي عانى من الحرب "التي سميت أهلية"، ثم الحروب المتتالية التي شنها عليه العدو الإسرائيلي أوصلت البلاد إلى حالة حادة وحرجة لكن غير معلنة من الفرز الطائفي والمناطقية، وذلك بسبب الطريقة التي انتهت بها الحرب وأدت إلى تسويات ساهمت في تغيير التركيبة الاجتماعية،

١. في سوريا مثلاً.

والتي أوصلت إلى نشوء إقطاعات سياسية جديدة بلباس استعماريّ حديث مقنّع. وخلال فترة التعافي في لبنان - الطويلة نسبياً - لم يستطع هذا البلد أن يطور فعلياً في الهياكل الاقتصادية أو المؤسسية فيه، فبقي أسيراً للسياسات والبرامج الاستعمارية ذاتها التي ساهمت في اندلاع الحرب فيه.

باختصار إن تجربة لبنان هي مثال لكل تجارب الدول الإسلامية التي عانت من الحروب المفتعلة على أراضيها والتي يمكن أن تفكر بالتكيف أو التأقلم مع حالات الاعتداءات الاقتصادية أو السياسية أو الأمنية على شعوب وأنظمة المنطقة، وهي تجربة فاشلة بالفعل أسست لتشرذم المجتمع اللبناني لدرجة أن قسماً من جمهوره كان مؤيداً في وقت من الأوقات للتبني والمساعدة في تعميم تجربة داعش الإجرامية.

أخيراً، تندلع الحروب لأسباب مختلفة، لكنها في عالمنا العربي هي موجودة لسببين: الأول هو السيطرة على موارد المنطقة من نفط ومياه وأراضي زراعية خصبة، والثاني هو إخضاع الشعوب لسيطرة وإرادة الإسرائيليين ومشروعه، وذلك بغض النظر عن المظهر الذي يمكن أن يتخذه هذا المشروع.

لكن، وبالتزامن مع ضرورة التصدي للتحديات الخارجية الناتجة عن الحروب المتنقلة في عالمنا الإسلامي، يُفترض خلال الحروب تأسيس هيئات عمل محلية وتدريبها على التخطيط لأمن اجتماعي وفكري وتربوي وثقافي واقتصادي وبيئي.. من جهة للحد من التداعيات الآتية الحاصلة في مجتمع الحرب، ومن جهة ثانية بهدف التخطيط للنهوض في فترة ما بعد الحرب. بحيث يكون من الواجب التعامل الجاد مع ارتفاع مستويات الأمية غير المسبوقة في المجتمع، والتداعيات الاقتصادية وغيرها، كما يتم التعامل مع التحديات الخارجية في الأمن والسياسة.

بيروت ١٧ / أيلول / ٢٠٢١

## منابع

١. القرآن الكريم
٢. تقرير التنمية البشرية ٢٠١٥، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي
٣. دراسة الأحوال المعيشية للأسر في لبنان ٢٠١٥، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، دراسة منشورة.
٤. مؤتمر الأمن الأسري الثالث، جمعية الرابطة اللبنانية الثقافية، بيروت ٧ نيسان ٢٠١٦، المنظومة الفكرية والقيمية في الإسلام ودورها في تحقيق الأمن الفكري والاجتماعي، محاضرة مدير مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي فضيلة الشيخ محمد زراقط.
٥. الحروب العربية المتنامية، مهى يحيى، مديرة مركز مالكوم كير - كارنيغي للشرق الأوسط، يوليو/ تموز ٢٠١٥.
٦. صراع بوسائل أخرى.. إعادة الإعمار بعد الحرب في الدول العربية، "مدونات"، مركز كارنيغي للدراسات الشرق الأوسط، عمرو عدلي، ابتهاج أحمد عبد الغني. مدونة الكترونية.
٧. آثار الحرب والنزاع العنيف على الشباب، تقرير التنمية الإنسانية العربي، ٢٠١٦، الفصل السادس.